

ترجمه من الانجليزية

الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

1403 - 1983

كيف يربي يهود الولايات المتحدة أولادهم

ترجمه من الانجليزية
الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

1983 - 1403

الكعكات المقدسة ، دانى يحب القصص

صلصل الجرس مؤذنا بفسحة الاستراحة فخرج الصبيان من روضة الاطفال للعب فى ساحة الروضة الا دانى ، فانه بقى فى مكانه جالسا فناداه أمنون يا دانى قم فاخرج ، لماذا بقيت فى مكانك حالما ؟ فرفع دانى بصره ونظر الى أمنون شزرا كأنه رآه للمرة الاولى فى حياته ، فقال دانى أنا ، لا لست حالما ، اسمع يا أمنون ، لعلك تعرف أين الكعكات الثلاث ، فقال أمنون أى الكعكات ؟ فقال دانى أنسيت الكعكات الثلاث التى صنعتها أمنا سارة للملائكة ، وأنت تعلم أن الملائكة لا يأكلون اذا فأين الكعكات ومن اكلها والملائكة لا يأكلون ولا يجوعون ، أين الكعكات الثلاث المقدسة ومن من التلاميذ لا يحب مثل هذه القصة ؟ كلهم يحبونها ولكن دانى يحبها أكثر منهم جميعا فانه يسمعها ثم يطلب اعادتها مرارا وتكرارا ويقرأ آياتها المسطورة فى التوراة ثم يقرأها ولا يشبع من قراءتها ، حتى فى الليل وهو مضطجع على سريره يفكر فيها بقلبه ، نعم هو لا ينقطع عن التفكير فى هذه الحكاية الجميلة دائما يفكر فيما كتب فى التوراة وما تفسره له المعلمة وللتلاميذ من أخبار سفينة نـــوح

(1) دانى علم عبرانى وهو ترخيم دانيال احد انبياء بنى اسرائيل عليه السلام .

وعوج بن عناق الذى كان الى جانبها سابحا فى المياه الطوفانية وتشرح لهم المعلمة قصة ابراهيم « الخليل » عليه الصلاة والسلام حين كان صغير السن مع نمرود ملك العراق المجرم كل ذلك كان يستولى على لب دانى ويفهمه أكثر من غيره الا أن الكتاب الذى بيده لا يفسر له كل شىء وكذلك المعلمة لا تستطيع أن تبلغ الغاية فى شرح كل ما فى ذلك الكتاب فينظر دانى الى أن يحاول بنفسه أن يفهم تفاصيل ذلك ، لكنه لا يصل الى فهم كل ما يريده ، وفى ذات يوم وصل التلامذة الى حكاية الاشخاص الثلاثة الذين جاؤوا الى ابراهيم وسارة برسالة فرحت بها سارة فرحا عظيما وهى أنها ستحمل وتلد أبنا وفرح الصبيان كلهم باستقبال الضيوف فى خيمة ابراهيم وكان دانى أكثر التلاميذ فرحا بسماع هذه الحكاية ، لانه يحب الضيوف فى المدرسة وفى كل مكان وهؤلاء ليسوا ضيوفا عاديين بل هم ملائكة نزلوا من السماء فضحك دانى فى نفسه لان ابراهيم الرجل الصالح وسارة المرأة الصالحة لم يعرفا هؤلاء الضيوف أنهم ملائكة من السماء ففسرت لهم المعلمة الطيبة هذا السر الذى قرأوه فى الكتاب ولم يفهموه وكان ابراهيم عليه

هذه القصة مذكورة فى سورة الذاريات فى قوله تعالى : هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين الخ .

السلام كريما مضيافا فرحب بضيوفه فى خيمته ، وكان لهذه الخيمة أربعة أبواب فى كل جهة من جهاتها الاربع باب ، حتى اذا جاء ضيف جائع من أى جهة لا يحتاج أن يبحث عن الباب وكلما رأى أبونا ابراهيم ضيوفا فرح بهم وقامت أمنا سارة فى الحال لتصنع لهم طعاما ، فلما قدم ابراهيم الكعكات لضيوفه أخذوها بأيديهم ولمسوا بها شفاههم كأنهم يريدون ان يأكلوا لكنهم لم يأكلوا شيئا .

ولما بشروا سارة بأنها تلد ابنا ضحكت لانها لم تصدق أنها تستطيع أن تحمل وتلد ابنا « لتقدمها فى السن » فسألها ابراهيم ام ضحكت فاستحيت واعتذرت فانصرف الملائكة قالت المعلمة للصبيان هل قرأتم قط حكاية جميلة مثل هذه ؟ ثم أجابت طبعا لا ، وكذلك دانى رأى هذه القصة أحسن قصة قرأها فى حياته ، فلما تمت القصة ارتفعت أيدى التلاميذ اشارة الى أن لهم أسئلة كثيرة ، وكذلك دانى رفع يده يريد أن يسأل سؤالا مهما واذا بالجرس يصلصل ايذانا بانتهاء الدرس ، فحزن دانى لان الجرس قطع عليه مراده ، فقام الصبيان وخرجوا للعب فى ساحة المدرسة ووقفوا فى دائرة يغنون ويرقصون الا دانى بقى جالسا لا يريد أن يلعب ولا يرقص ولا يغنى ولا يريد الا شيئا واحدا يريد معرفته وهو أين الكعكات

الثلاث المقدسة ؟ وكيف لا تكون مقدسة وأبونا ابراهيم أخذ الدقيق بيده وأمنا سارة صنعت الكعكات بيدها والملائكة لم يأكلوا الكعكات المقدسة يقينا بل تركوها على المائدة فى خيمة ابراهيم وهذه الكعكات المقدسة لا تيبس ولا تتغير فأين هن ومن أكلهن ؟ لم يزل هذا السؤال يتردد فى ذهن دانى ولم يجد له جوابا ، سأل المعلمة عنه وسأل أباه وجده فكلهم قالوا لا ندرى هذا سؤال أعظم من أن نقدر على الجواب عنه ، فلم يزل دانى يفكر ويقول فى نفسه يا رب من يا ترى يحل هذا اللغز ؟ ومضت الايام فتعلم دانى فى الروضة قصة ابراهيم وهاجر واسماعيل حين كان طفلا فتأسف دانى على هاجر وابنها الظمآن فى الصحراء ثم فرح بأنهما آخيرا وجدا الماء (1) وبعد ذلك تعلم شد وثاق اسحاق (2) ما أشد هول ذلك وتعلم دانى القصة الى نهايتها ، وكان قلبه يخفق لأحداثها ، وأحاط علما بكل ما قرأه من ذلك ، ثم علم موت سارة

(1) انظر ما جاء فى صحيح البخارى وغيره وفى كتب السيرة من ظمأ هاجر واسماعيل وطلب هاجر للماء فأكرمها الله وولدها بماء زمزم .

(2) اختلف الائمة فى من أمر ابراهيم بذبحه أهو اسماعيل أم اسحاق ورجح ابن القيم انه اسماعيل وعلى كل حال قصة الذبح موجودة فى التوراة وفى القرآن قال تعالى فى سورة الصافات : « وبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » الخ .

أمنا وملك ابراهيم المغارة التى اسمها مكفولة وأخذهـا من يد عضرون الحتى علم ذلك كله قصة بعد قصة قرأ ذلك وكتبه وصوره بيده فى دفتره لكن كل ذلك لم يكفه ولم يبرد غلته وبقى هذا السؤال يتردد فى نفسه من أكـل كعكات سارة ، وكاد يستولى عليه اليأس من حل هـذه المشكلة التى أقضت مضجعه ، ثم مرضت المعلمة وهـذا يسوءه حقا فمضت على صبيان الروضة ثلاثة أيام لم يتعلموا شيئاً ، ثم جاءت معلمة أخرى من روضة أخـرى فنابت عنها ، ثم خلفها غيرها من المعلمات ؟

وفى ذات يوم بينما الصبيان جالسون اذا بالجرس يصلصل وبعد لحظة دخل عليهم المدير ولما دخل خطـر ببال دانى خاطر سريع ، وهو أن يسأل المدير عن الكعكات الثلاث المقدسة لعله يستطيع أن يجيب عن سؤاله فرفع يده فقال له المدير اسأل ، فسأله من أكل كعكات أمنـا سارة الثلاث فتبسم المدير وقال سأخبرك عما سألت عنه فطارت قلوب الصبيان شوقا الى سماع حديث المدير فاقترب المدير من دانى ومسح رأسه بيده ايناسا لـه ثم وقف وقال أيها الاعزاء، اعلموا أن ما سأقصه عليكم وقع منذ زمان طويل جدا .

بجوار أرض اسرائيل كان الفلسطينيون يسكنـون وهم أعداء بنى اسرائيل وكانوا اشرارا ، وكانوا طاغين

على بنى اسرائيل يأكلون غلة أرضهم وثمار أشجارهم وينهبون غنمهم وبقرهم ويحرقون غابات جبال اسرائيل ويقتلون الرجال والنساء والصبيان من بنى اسرائيل أو يسبونهم الى أن قام فى بنى اسرائيل رجل عظيم شديد البأس اسمه شمشون فكان انتصار بنى اسرائيل وانقاذهم على يده وكان له يدان من حديد وقلب لا يعرف الخوف ، فقاتل الفلسطينيين وقهرهم وأنقذ شعبه من شرهم فلم يستطع الفلسطينيون بعد ذلك أن يمسوا بنى اسرائيل بأذى ، فساد السلام والامن أرض اسرائيل زمانا طويلا ، وكان شمشون العظيم أميرا على شعبه وكانوا فى أحسن حال حتى وقعت حادثة مؤلمة ومصيبة عظيمة وذلك أن شمشون الشديد وقع فى يد امرأة خبيثة وهذه المرأة سلمت شمشون الشديد الى الفلسطينيين فشدوا وثاق يديه ورجليه ، ومع ذلك كانوا يهابونه اذا نظر اليهم يرعبون ولا يستطيعون الهجوم عليه ، فقال الفلسطينيون ، ما دام هذا الرجل يبصر بعينيه لا نقدر أن نقترب منه فتعالوا نفقأ عينيه هكذا قالوا وهكذا فعلوا ، وانتظروه حتى نام فجاء منهم عشرة رجال وفقأوا عينيه وكبلوا يديه ورجليه بالسلاسل والاغلال ونقلوه الى مدينتهم غزة ووضعوه فى داغون بيت آلهتهم وأخذوا يسخرون منه ويضحكون عليه .

وكان فى غزة أهل بيت من بنى اسرائيل قاطنين وكان صاحب هذا البيت حدادا وقد بارك الرب فى عمل يديه ، ولم ينس قط هذا الرجل أرض آبائه وكان أيضا يعلم ابناءه أن يحبوا شعب اسرائيل وأرض اسرائيل الا أن نفسه لم تطب بالرحيل من مدينة الفلسطينيين غزة والرجوع الى أرض اسرائيل وقال فى نفسه ان عدد اخوتى كثير وتركة أبينا قليلة ، وبعد سفرى اقتسم اخوتى ميراث أبينا بينهم ، فليس لى كرم ولا مزرعة ولا جنة فى أرض اسرائيل أأرجع الى هناك لاموت جوعا ؟ وكان هذا الرجل اذا جاء المساء وغربت الشمس وطلعت الكواكب ترك شغله جانبا وجلس مع أبنائه يحدثهم عن مسقط رأسه أرض اسرائيل ، وعن شعبه بنى اسرائيل ويسمى لهم جبالها وسهولها واحدا بعد واحد ثم ينشدهم أناشيد اسرائيل بصوت مؤثر عازفا لهم على آلات الطرب كالعود والمزمار ، وبذلك نشأ الاولاد على حب أرض آبائهم مع بعدهم عن حدودها وأصغر أبنائه يزرعيل كان يحفظ كل ما يقصه عليه والده ولا يزول من قلبه وكان يقول فى نفسه اذا كبرت لا أبقى فى هذه البلاد فى أرض الفلسطينيين لابد أن أرجع الى شعبى ومسقط رأس آبائى واشتغل فى أرض اسرائيل وأعيش فيها وهكذا كان يقيم هذا الغلام فى غزة مدينة الفلسطينيين

بجسمه ، وقلبه فى أرض اسرائيل وكان دائما يبحث عن أخبار بنى اسرائيل ، فلما سمع بوقوع هذه الحادثة المشئومة وهى أسر بطل بنى اسرائيل شمشون أسرع الى داغون بيت آلهة الفلسطينيين ليرى عظيم اسرائيل وليساعده ولما رأى عظيم بنى اسرائيل أسيرا امتلأ قلبه حزنا اذ رآه مكبولا بسلاسل الحديد ورآه واقفا بين ساريتين عليهما يقوم البيت وصيحات الضحك والاستهزاء تسمع من الخارج والفلسطينيون يقولون يا شمشون الاسرائيلى انظر كيف تهرك الفلسطينيون هذا أسد قم فاقتله ، لماذا أنت محبوس بين هذين العمودين قم فاهدمهما كما قلعت من قبل باب المدينة كل ذلك يسمعه شمشون وهو واقف صامت لا يقول شيئا ، الا أن قلبه مفعم بالأسى ، فلما رأى ذلك يزرعيل الغلام رق قلبه له فذهب يزرعيل الى الجهة المقابلة ، وأخذ ينظر الى شمشون والى الناس الذين هم واقفون حوله ، ولما انصرف أولئك القوم وبقى شمشون وحده دنا منه يزرعيل وقال له همسا أنا غلام اسرائيلى مقيم بأرض الفلسطينيين ولكن قلبى مع اسرائيل ومع جيش اسرائيل وأنا فى خدمتك ، فمرنى بما تريد ، من المساعدة فأينما ترسلنى أذهب ، وكلما تطلب منى أفعله ، وكان كلام الغلام لطيفا تظهر عليه امارات الصدق والعطف فخرجت تلك الكلمات من قلبه

ووصلت الى قاب شمشون ولما علم شمشون أنه صادق تحدرت من عينه دمعتان كبيرتان وحارتان لكنه لم يفتح فمه ولم ينبس ببنت شفة فقال الغلام مالك لا تجيبني ؟ لا تخف ، قل كل ما فى قلبك ، لا يوجد هنا الا أنا ، وأنت الفلسطينيون ذهبوا جميعا حتى الحراس ولم يبق هنا أحد غيري ، تكلم يا شمشون بالله عليك سريعا وأجبني ، فأجاب شمشون الغلام قائلا شكرا لك أنا لا أخاف الموت بعدما سمعت كلامك ما أجمل أن أعرف أن هناك قلبا اسرائيليا يخفق بحب اخوته حتى فى أرض العدو لا تحزن على يا يزرعيل أنا أعتبر نفسي ميتا فعلام أخاف ، لكن أنت يا يزرعيل لعلك تطول بك الحياة بعدى فأوصيك أن تذهب بحبك هذا الصافى وتعود الى شعبك وتتعاون مع اخوتك لبناء دولة اسرائيل أنت ترى يدى مغلولتين وقد أعرض الله عنى فأجاب يزرعيل لم تتكلم بمثل هذا يا شمشون قال يزرعيل وقلبه يتقطع حزنا ان قدرة الله تعالى لا تعجز عنك ان سقطت فى هذه المرة فلا تيأس ، ألا تعلم أن المثل يقول ان الصديق قد يسقط سبع مرات ثم يقوم لعلك تنقذ من أيدى الفلسطينيين وتعود الى شعبك والى أرضك .

قال شمشون أنت غلام طيب يا يزرعيل أنى يكون ذلك وأنا وحيد ليس لي نصير ولا معين كيف أرجع الى

شعبي والى أرضي وأنا مكبول أعمى بين عمودين فى هذا البيت النجس الذى هو مبنى بالحجارة فقال يزرعيل الا يوجد لعينيك دواء فقال شمشون لا أدرى لما كنت غلاما صغيرا فى صرعة وهى المدينة التي ولدت بها أخبرنى أبى أن بأرض جلعاد فى الشمال ينبت نبات عجيب ، لكنه لا ينبت الا مرة واحدة فى كل سبع وسبعين سنة ينبت بين الصخور وله نوار اذا وضعه الاعمى على عينيه رجع له بصره ورأى نور الشمس هذا ما سمعته من فم أبى فنظر يزرعيل من نافذة داغون بيت آلهة الفلسطينيين الى الطريق المتوجه نحو الشمال ثم قال أخبرنى بالحقيقة يا شمشون هل قال لـك أبوك هذا حقا أم هى خرافة ؟ فقال شمشون أنا لا أدرى وهب ان هذا الخبر صحيح فمن يقدر ان يجد لى هـذا البلسم الشافى العجيب لأعالج به عينى وزد على ذلـك انه لا ينبت الا مرة واحدة فى كل سبع وسبعين سنة قال يزرعيل ومن يدرى لعل هذه السنين تكون الآن قد تمت ويكن هذا أوان نباته قال شمشون أنا ما بقى عندى أمل البتة . أنا ميت ، ولا أريد الا شيئا واحدا ، اريده من الله وهو ان يعتنى على الانتقام من هؤلاء الأعداء الذيـن أعموا عينى وعند ذلك قبل يزرعيل يد شمشون وقال له كن قويا وتشجع يا شمشون فالرب معك ، وشعب اسرائيل حى ، وخرج يزرعيل من بيت داغون ورجع الى بيـت

والديه محزونا قلقا لان غايه ان يحصل على البلسم الشافى لعينى شمشون وليكن ما عسى ان يكون .

ولما أخبر بذلك أباه واخوته الكبار قالوا له مسكين أنت يا يزرعيل تصدق كل ما تسمع وهل يصير الاعمى بصيرا ؛ انك تحلم فى اليقظة .

خروج يزرعيل لأرض جلعاد .

خرج يزرعيل قاصدا السفر الى ارض جلعاد فبحث عنه والده فى كل مكان بالمدينة فلم يجد له أثرا أما يزرعيل فتوجه الى الطريق السلطانى فوجد قافلة من أهل مدين مسافرة الى الشمال للتجارة وابلهم تحمل كل نوع من البضائع التى جاءوا بها من مصر ليبيعوها فى بلاد الشمال فدنا الغلام من المديتيين وقال لهم أنا غلام اسرائيلى أسكن فى أرض الفلسطينيين أريد أن أسافر الى أرض جلعاد ان شئتم ان تتكرموا على بأن تأخذونى معكم فعلتم مشكورين ، وأنا مستعد أن أكون خادما لكم فى الطريق واذا وصلنا جلعاد أغنيكم فضحك المدينيون من قوله فقال كبير القافلة نأخذ معنا هذا الغلام ليكون لنا حاطبا ويستقى لنا الماء وسافر يزرعيل مع قافلة المدينيين ومروا بحدود اسرائيل ليتوجه الى أرض جلعاد التى فى الشمال فلما جاء المساء وحط المدينيون رحالهم للاستراحة فى الصحراء وساد الهدوء وكان رجال القافلة

قد تعبوا ، فاضطجعوا للنوم فلم يبق شيء يسمع الا رغاء الابل وحديث الحراس الجالسين الى النار يصطلونها ، وفي تلك الليلة اصاب كبير القافلة أرق شديد فقام من فراشه وأخذ يتفقد رجال القافلة وما معهم من الابل والبضائع ليطمئن على سلامتهم ، وبينما هو يتمشى ويراقب القافلة اذ سمع صوتا فتوجه نحوه فوجد الغلام يزرعيل جاثيا على ركبتيه وهو يتضرع الى الله في صلاته والدموع تنهمر من عينيه وكانت تلك الدموع تضيء كأنها مشاعل كبار في ظلمة الليل البهيم فتعجب كبير القافلة لأن ما رآه كان كالمعجزة، ولما فرغ الغلام من صلاته دنا منه الشيخ وقال له انك لغلام صالح وقد سمعت صلاتك فلم تسأل فيها الا الخير فقل لي كل ما في نفسك فاني اعطف عليك وحينئذ فتح الغلام يزرعيل قلبه وأخبره ببيت أبيه الذي في غزة وبما يحس به من حب شعبه اسرائيل وأخبار شمشون وما جرى عليه من العذاب وأخبره بالبلسم الشافي العجيب الذي في أرض جلعاد وأنه مسافر للحصول عليه فاصغى اليه الشيخ وأعجبه حديثه وقال له قصتك هذه أثرت في قلبي تأثيرا شديدا وأنا مستعد لمساعدتك والحق أقول لك أنني ما سمعت قط شيئا من خبر البلسم العجيب ولا أعرف أين يوجد ولكن اذا قوي عزمك عليه فقم وتوجه الى جلعاد

ويفعل الله ما يشاء ، وهكذا تعاهدا على ذلك ، وكذلك رجال القافلة أحبوا يزرعيل وأكرموه ، ولم يزل رئيس القافلة يحث رجاله على المضى فى السير الى جلعاد لأن الثروة الكبيرة هناك فكانوا يغذون السير ليلا ونهارا ووجوههم الى الشمال .

كيف نجا يزرعيل من الموت

ولما وصلت القافلة الى ميروم من أرض الاردن أخذ قلب يزرعيل ينبض بسرعة ، لأنه رأى من بعيد أرض جلعاد بلاد أحلامه فقوى أمله ولما اجتازوا الحدود التى بين الاردن واسرائيل تصدى للقافلة جماعة من الآراميين فوقعت ملحمة بين الفريقين وكان الآراميون أقوى واكثر عددا من المدينيين فقتلوا كثير من المدينيين ووقع سائرهم فى الأسر ولم ينج الا يزرعيل فانه اختبأ ثلاثة أيام بلياليها فى مخبأ وبقى مضطجعا لا يبرح مكانه فقال فى نفسه وقد اشتد به الجوع خير لى أن أموت فى أرض آبائى من أن أحيا عبدا فى أرض الغربة أن الله لم يرض طريقى ولا عماى وغمض عينيه وبقى ينتظر الموت وبينما هو كذلك ظهر له نور ففتح عينيه واذا بامرأة واقفة أمامه تنظر اليه نظر الأم الرحيمة لابنها فمدت المرأة يدها ليزرعيل وناولته كعكة لتحى بها فان هذا خبز مقدس جئتك به لأحفظ نفسا اسرائلية عزيزة مقدسة كل

ما تقدر ان تأكله والباقى احفظه فى مزودك لتاكلــه فى الطريق فسألها يزرعيل وما الطريق الذى أسلكه ؟ فقالت له خذ دائما طريق الجنوب المتوجه الى بئر السبع ومن هناك تذهب الى أرض فلسطين التى فيها بيت أبيك، وإياك ان تسكن بعد الآن بارض الغربة يا بنى اذهب بقوتك هذه وخذ أباك وامك وكل أهل بيتك وارجع الى أرض آبائــك الى اسرائيل ثم قال لها والدموع تملأ عينيه : والبلسم الشافى العجيب الذى فيه شفاء شمشون ؟ فقالت لــه رحم الله شمشون وأماته موت الابطال ولم يمت شمشون موت العبيد لم يمت شمشون حتى مات معه خلق كثيــر من الفلسطينيين (1) أكثر مما قتله فى حياته منهم وبهذا ختمت المرأة حديثها أما يزرعيل فانه لم يزل يسير ومعه بقية الكعكة وكلما جاع يأكل منها فشعر بقوة عظيمة لم يكن له بها عهد من قبل ، مشى يوما وليلة ولم يشعر بتعب ولم تمر أيام كثيرة حتى وصل يزرعيل الى بيت أبيه فلما رآه أبوه لم يصدق عينيه ، أما أمه فعانقته وهى تقــول لم أيأس من بقائك يا بنى ولم تزل نفسى تحدثنى أنك

(1) معنى هذا الكلام ان شمشون لما يئس من الحياة والخلاص من أيدى امرأته خطر بباله ما ورد فى التاريخ عن ذلك العربى الذى صرعه عدوه فجاء رفقاؤه يخلصوه منه فوجدوا عــدوه جاثما على صدره كالكابوس فقال لرفقائه ، اقتلونى هــزا عنيفا فسقط البيت كله عليه وعلى من كان معه من الفلسطينيين المتفرجــين .

ستعود الينا ، ولما رأى الأب بطولة ابنه قال أنت الابن العزيز عندنا يا زرعيل أنت غلام طيب ، نحن مستعدون لنفعل كل ما تأمرنا به فارتحل وارتحل معه أهل بيتـه كلهم الى اسرائيـل وصار ليزرعيل اسم بـين العظماء والابطال بعدما كبر ورأى يزرعيل فتاة تشتغل فى الكرم فاعجبته فتزوج بها ، وبنى لنفسه بيتا فى أرض اسرائيل وصار له بنون وبنات ، وفى ذات يوم جاءه أحد أحفاده وقد رجع من روضة الاطفال فجلس على ركبتيه وقال له يا جدى حدثتنا اليوم المعلمة بقصة ابراهيم أبينا وسارة أمنا وضيوفهما الذين زاروهما من الملائكة وفهمت كـل شيء من ذلك الا الكعكات الثلاث التى صنعتها أمنا سارة لضيوفها ولـم يأكلوها ، لأنهـم ملائكة لا يأكلـون ولا يشربون فأين هى تلك الكعكات ومن أكلها فمسح الشيخ رأس حفيده وقال له : الرب يعلم ما فى نفوس الصديقين فينصرهم ويعينهم فيعطى احدى الكعكات عبدا صالحا من عباده المؤمنين حين يراه جائعا ومضطرا وسالكـا الصراط المستقيم وكان التلاميذ يستمعون لحكاية المدير بشغف عظيم كأن على رؤوسهم الطير فنظر اليهم واذا بطفلة صغيرة تسيل الدموع من عينيها وتقول ياحضرة المدير قد علمنا مصير احـدى الكعكات فما فعـل اللـه بالكعكتين الأخريين ، ولكن المدير لما فرغ من حديثه فى

قصة يزرعيل وشمشون ضرب الجرس مؤذنا بوقت الاستراحة ، وصار التلاميذ كلهم يتساءلون عن الكعكتين الاخريين من أكلهما فشكرهم المدير وهدأ روعهم قائلا سأخبركم بخبرهما فلتطب نفوسكم ولتقر أعينكم فسأطلب من المعلمة أن تسمح لى بوقت فى اليوم السادس من الاسبوع وهو يوم الجمعة لأشرح لكم قصة الكعكتين الباقيتين ، فلما كان يوم الجمعة مساء اجتمع التلاميذ وكتبوا كتابا بموافقة المعلمة الى المدير ولما سمعت المعلمة أن المدير يلتمس منها الاذن وتعيين الوقت ضحكت فبعث الكتاب الى المدير ، ولما جاء المدير الى الروضة رأى التلاميذ قد أتموا عملهم المدرسى واستعدوا لتقديس يوم السبت ففرح بذلك ، ورأى المدير المعلمة قد وضعت منضدة فى وسط المقصورة وعليها غطاء أبيض وفوقه أصص الازهار وشموع البيت وفى وسطها صندوق التبرعات لدولة اسرائيل ، ولما رأى الصبيان المدير مقبلا أنشدوا نشيد السبت بلسان واحد ، وحيا التلاميذ المدير فرد عليهم التحية بمثلها وقال عسى أن لا أكون قد قطعت عليكم شغلكم فقالت المعلمة لا لم تقطع علينا شغلنا فتفضل فان التلاميذ متشوقون الى بقية حديثك وكلنا آذان صاغية ، فجلس المدير على الكرسى وجلست المعلمة الى جانبه ووقعت فى الروضة ضجة من الفرح والتشوق

فقال المدير أيها الاعزاء اليوم أحكى لكم حكاية وقعت منذ سنين كثيرة جدا ، بعد تمشون العظيم وبعد داود الملك عليه السلام وبعد يهودا المكابى وقع هذا الأمر طرد الأعداء أبائنا الاولين من أرضهم ، فأخذ اليهود يتنقلون من أرض الى أرض ، ولا يجدون مستقرا حتى وصلوا الى اسبانيا ، وفى أول الامر استقبل الاسبانيون أسلافنا اليهود بترحيب وفتحوا لهم أبواب أرضهم فأخذ اليهود يعملون بجد ونشاط وبورك فى عملهم فحصلوا على مال كثير وعيش رغد ، فكان منهم الاغنياء الكبار والتجار والادباء والعلماء والشعراء وأيضا كان منهم الشجعان أبطال المعارك ولكن دوام الحال من المحال ، فقد تنبه لهم الحساد اللئام وقالوا فى انفسهم ما بال هؤلاء اليهود قد أثروا فى أرضنا واستولوا على خيراتها وصاروا فيها هم السادة الأمراء يأكلون خيرات أرضنا ولا يعبدون آلهتنا هلم نطردهم من بلادنا ونستولى على أملاكهم الكثيرة ، واذا باليوم العصيب يجيء على اليهود بعضهم راكبون على الدواب وبعضهم يمشون على الاقدام وبعضهم راكبون فى سفن هكذا خرجوا خروج الغرباء المبعدين وكان عبديا وحيد أبيه وأمه وكان أبوه رجلا معظما جدا وقد فرح به أبوه وأمه واجتهدا فى تعليمه وتربيته على أعمال الخير ولكن المجرمين الأشرار ذهبوا

الى الملك ووشوا بوالد عبديا فجاءه رسل الملك وأوثقوه هو وزوجته فى بيتهما وحكم عليهما بالموت فقتلا أما عبديا فأخذه الاسبانيون ووضعوه فى بيت آلهتهم ليتعلم دينهم ويتربى عليه وينسى دين أبيه وشعبه لكن الواقع لم يكن كما أملوا واشتهوا .

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

فان عبديا مع صغر سنه تفطن لما أرادوا به وقال فى نفسه والله لا أنسى دينى ولا شعبى ولن أعبد آلهة الاسبانيين أبدا ، لأنها آلهة باطل ، وكان عنده كتاب التعليم العبرانى قد خبأه ولم يطلع عليه أحد منهم ، وبقراءته لهذا الكتاب كل يوم كان أمله فى النجاة ينمو وأخذ يعتقد جازما أنه سيأتى يوم يعود فيه الى شعبه وكان بيت آليتهم مغلق الابواب على الدوام فلا أمل له فى الخروج ولكن عبديا كان يصغى الى ما يتحدث به الكهنة ، ولما سمع منهم نبأ اخراج اليهود كلهم فى يوم واحد من بلاد اسبانيا حزن حزنا عظيما وخاف خوفا شديدا ، وقال فى نفسه يا ويلى ان طرد جميع اخوانى من هذه الأرض فأى عمل يكون لى ولن أنجح فى الخروج بسلام من هذا البيت ، فأين أذهب وأين أنجو ومن يفتح لى بابه ؟ هكذا كان الغلام يقول فى نفسه

وأخذ مع ذلك يفكر فى الفرار من هذا البيت واللحـاق باخوانه اليهود قبل أن يخرجوا من اسبانيـا ، وفى ذات ليلة أخذ حبلا وربط نفسـه ثم ربطه الى الطاقة ونزل به الى الارض وكان الحراس غائبين فى ذلك الوقت بسبب هطول الامطار وكانوا مستترين قريبا من البيت فأبصروه وتبعوه ففر هاربا بكل قوته منهم واستمر كذلك حتـى وصل الى جماعة من اليهود وانضم اليهم فاستقبلوه بكل سرور وقالوا له ياويلنا فاننا لا نستطيع ان نجد لك بيتا تأوى اليه لأننا خارجون جميعا من هذه الارض ، ولكن ان أردت ان تصحبنا فتعال معنا تسير حيث سرنا ، لانك أخونا ولما وصل الى الشاطىء وجد سفينة توشك ان تقلع من الشاطىء الاسبانى فركب فيها ، ولم تسر بهم الا قليلا حتى هجم عليها لصوص البحر واستولوا على أهلها فقتلوا الشيوخ والعجائز وأخذوا من بقى من الرجـال والنساء والصبيان سبيا ليبيعوهم عبيدا واماء فلما رأى أن الخطب جلل ألقى نفسـه فى اليم فضحك منه اللصوص وقالوا هذا صبى شجاع عنيد لا يشتريه أحد منا وكان والده قد علمه السباحة ، فأخذ يسبح الى أن رأى خشبة طافية على وجه الماء فتعلق بها ولم ينقطع بقلبه ولسانه عن ذكر الله والدعاء ان ينجيه الله فسبح يوما وليلـة فلما جاء الصباح رفع عينيه ببصره فرأى اليابسة قريبة ،

فاشتد عزمه وسبح حتى وصل الى جزيرة فى البحر ولم يجد فى تلك الجزيرة ديارا ولا نافخ نار ولا حيوانا ولا شجرة ولا نباتا ولا ماء عذبا وليس فيها الا الشمس فوق رأسه والارض تحت قدميه كأنها صحراء هذا مع ما هو عليه من التعب والجوع والعطش وبقى كذلك يومين وليلتين هائما على وجهه فلم يجد أثرا الحياة ، ولما اشتد به الجوع والجهد سقط على الارض مغشيا عليه فغمض عينيه وأخذ ينتظر الموت فما راعه الا ظل ظلله من فوقه ففتح عينيه فاذا بنسر عظيم نزل بقربه ومعه كعكة تعبق منها رائحة الجنة فوضعها أمامه ثم بسط جناحيه وطار فى السماء فلما أكل عبديا من تلك الكعكة انتعشت نفسه وعلم أن الله معه ، واما سقط الفتات من الكعكة على الارض نبتت منه أشجار فاكهة لذيذة الطعم ، وبقى على ذلك أياما فى كل يوم يذهب الى شاطىء البحر وينظر لعل سفينة تاتى ، وفى ذات يوم رأى سفينة تقرب من الساحل وتأمل فاذا هى من سفن اليهود المطرودين من اسبانيا تائهين فى البحر فركب معهم فى السفينة وبعد سبعة أيام وجدوا أرضا فنزلوا بها وكان ملك تلك الارض طيبا فسمح لهم بالاقامة فى بلده والعمل فى أرضها والاكل من ثمراتها ، فكبر عبديا وصار رجلا طيبا من أهل العلم والحكمة وتزوج امرأة فولدت له بنين وبنات ، ولما شاخ

وطعن فى السن أوصى أبناءه بالعمل لكسب عيشهم والتمسك بدينهم الى ان يتيسر لهم الرجوع الى أرض أبائهم وأسلافهم الى أرض اسرائيل ، لم تبق إنا الا كعكة واحدة من الكعكات الثلاث التى حفظتها أمنا سارة عندها وقالت لأبينا ابراهيم آنمكث فى عدن منعمين وأنا أعلم ان الآفا من أولادى من بنى اسرائيل يتضررون جوعا يوما بعد يوم ، أنا اسمع صلوات أحفادى يطلبون المعونة وهم فى سوء وفى شدة ما أعظم رحمتى لهم وحزنى عليهم ، كل بنى اسرائيل محتاجون للمعونة ، للدواء أتعلم يا ابراهيم لمن ادخر هذه الكعكة المقدسة ادخرها لنفس عزيزة جدا لواحد من أحفادى ابن أو ابنة قلبه أشد حرارة من جميع الناس ، نفسه مقدسة وطيبة أكثر من جميع الناس ، هذه الكعكة محفوظة فى يدى سنين بل مئات السنين لا ينالها أحد الا صفورة ابنة الفلاح وهى ابنة سبع عشرة سنة فقط ، وهى ابنة القائد الاسرائيلى ، ان صفورة لا تعلم ان أمورا عظاما تمر بها فى حياتها القصيرة وترى من الخير مثلها ولكن ما تراه من الشر أكثر . فى أيام طفولتها تواجه الموت وتعاينه وجها لوجه فى بيت والدها بكنيسة وارشو من بلاد بولونيا ، قد مارست الموت وعرفته ، فان اللصوص قتلوا أهل بيتها أباها وأمها وأخاها الكبير واختها كلهم ماتوا بأيدى اللصوص ، ولم ينج منهم

الا صفورة ابنة عشر سنين بعد المعركة وجدها الجنود ملقاة على الارض مريضة وجائعة فأخذوها الى المستشفى فاخذت قوتها ترجع اليها شيئا فشيئا وبعد يوم واحد خرجت من المستشفى وذهبت الى مساكن اليهود المهاجرين ، وفى تلك الأيام كانت أرض اسرائيل مغلقة فى وجوه اليهود فمتى أراد يهودى أن يدخل الى اسرائيل وجب عليه ان يبقى منتظرا زمانا طويلا حتى يأذن له الحكام البريطانيون فى الدخول ، وقد أقام البريطانيون حراسا على حدود أرض اسرائيل ولا يسمحون لليهود المهاجرين ان يدخلوا أرض آبائهم ، ويقول المهاجرون نحن لا نستطيع الانتظار أكثر مما مضى نحن نريد أن ندخل أرض اسرائيل لنتعاون مع اخوتنا على اصلاح الارض واعمارها وحراستها وهؤلاء المهاجرون يتعاون معهم جميع يهود العالم ، وفى مقدمتهم يهودا آمريكا فانهم ساعدوهم بكل ما يستطيعون بالمال والسفن الكبار والصغار وكان الملاحون الاقوياء يوقفون سفن المهاجرين على شاطىء اسرائيل أياما كثيرة والرجال والنساء والصبيان فى جوف البحر لا يسمح لهم بالنزول الى البر وهم جياع وظمآى خائفون ، أما صفورة فكانت تتمشى مطمئنة تساعد المرضى وتشجع الصبيان الخائفين وتهدىء روعهم وكل الناس ينادونها يا أخت لأنها تعاملهم جميعا

معاملة الاخت لأخوتها كثير من المهاجرين لما طال عليهم الانتظار ألقوا أنفسهم فى اليم وحاولوا أن يسبحوا الى الشاطىء فكان الجنود البريطانيون يلتقطونهم ويأخذونهم الى جزيرة قريبة من حيفا، وحيفـــا، مدينة مـــن أرض اسرائيل ، وكانت صفورة من جملتهم فانها ألقت نفسها فى الماء وأخذت الى تلك الجزيرة وكانت صفورة تطيــب نفوس الصبيان وتقول لهم نحن الآن صغار وسيجىء يوم نعود فيه الى أرض آبائنا ونتعلم العبرانية لانهـــا لغة شعبنا ولغة أرضنا ولغة التوراة ولغة المخلصـــين الذين استعمروا الارض وهيأوها للاقامة وأيضا نتعلم العمل لأن أرض اسرائيل لا يستحقها الا العاملون فاستمع رفقاؤهـــــا لنصيحتهـــــا وتعلمـــــوا اللغة العبرانية وتعلموا العمل ، نعم سيجىء يوم تصير فيه صفورة الى أرض اسرائيل مع رفقائها ، الى أرض الجليل التى أعدت لهم وكذلك وقع فان صندوق التعاون الاسرائيلى هيأها لهم فحرثوها وزرعوها ، كل صبـــاح يخرجون للعمل وينشدون نشيد الأمل الاصفورة فانهـــا تبقى حارسة للصبيان الصغار ولشدة عنايتها بالاطفـــال كان الناس يسمونها أم الاطفال لانها كانت تحبهم حبـــا عديم النظيـــر .

« صفورة عظيمة »

ثم جاء اليوم العظيم يوم الرب سنة 1948 ذلك اليوم العظيم العجيب الذى قامت فيه دولة اسرائيل فسمعت أصوات الفرح فى جميع جهات العالم وأصيب يهود العالم كلهم برعشة السرور وسالت دموع الفرح من أعينهم ولكن اعداء اسرائيل لم يفرحوا ولم يذوقوا طعم الراحة فقامت قيامة جيران اسرائيل وهم العرب وبذلوا كل جهدهم لابادة دولة اسرائيل ان أعداء اسرائيل قساة القلوب لا يرحمون شيخا كبيرا ولا صبيا صغيرا ولا امرأة ولا طفلا لكن بنى اسرائيل قاموا للحرب قومة رجل واحد وكانت الملحمة قاسية ضارية وكانت القرية التى فيها صفورة قريبة من حدود العدو فحاصر العدو القرية حصارا شديدا فقال أهل القرية بعضهم لبعض يا ليتنا وجدنا سبيلا لانقاذ الصبيان فقط من مكان الخطر وحينئذ لا نعرف الخوف ولكن كيف نستطيع اخراجهم والعدو محيط بنا من كل جانب وصعدت صفورة الى برج الماء ونظرت الى ما حولها فلمعت عيناها بنور خاطر خطر فى ذهنها ، فرجعت وقالت رفيقاتها أيتها الرفيقات اذا جاء المساء يجب أن نخرج الاطفال من القرية هذا ما أشير به عليكن ، فقلن وانت يا صفورة ؟ فقالت لين أنا سأبقى هنا ، فقلن ولم ؟ فقالت هذا سر الجماعة لا أبوح

به فقلن لها وكيف نخرج ؟ فقالت تخرجن بالسيـــارة وتسلكن الطريق المتوجه الى الجنوب الى حيفا المدينة ، وسوف يستقبل الصبيان هناك بفرح ، أخرجن من الباب الكبير ولا تخفن فان العدو لا يراكن فانه ممتنع عنكـن لوقت ما ، فقلن لها وكيف علمت ان العدو قد تنحى عن طريقنا الى وقت ما ؟ فقالت هذا أيضا سر الجماعة لا أبوح به وصار الامر يكاد كما قالت صفورة ، جاءت السيـــارة كانت طلقات الرشاشات تدوى فى الجو وكانت تلـــك الطلقات من رجال العدو من الجهة الاخرى للقريـــة ، فسارت السيارة التى فيها الصبيان تنهب الارض نهبـا متوجهة الى حيفا ، والآن ينبغى لنا ان نعود الى صفورة لنعلم كيف خرجت بنفسها من القرية ووصلت بسلام الى رفيقاتها قالت صفورة لرئيس الجماعة انها تريد أن تخرج فى تلك الليلة وتصير خلف معسكر العدو حتى تصـــل الى جماعتها فأبى عليها الرئيس وقال لها نحن لا يمكـن ان نرسل فتاة تواجه الموت نرسل بذلك شابا ، فتهيأ كثير من الشبان للذهاب ولكن صفورة أبت بعناد وتصلبت فى رأيها فقالت له لا ثم لا ، ان الشبان قليل عددهم ونحـن محتاجون اليهم للقتال ، فيجب أن نحافظ عليهم واللـــه لو أنى أعرف كيف أقاتل لوددت أن أقاتل معكم العـــدو وحينئذ لا أعرف ما هو الخوف ، انى أعرف كيف أخفى

نفسي وأصل الى جماعتي فى هذه الليلة فرأى رئيس الجيش الصدق فى عينيها ووافقها على مرادها فلبست صفورة جلد كبش وأخذت تمشي على أربع فرآها العرب وظنوها شاة هاربة من غنم العبرانيين وقالوا ان العبرانيين خافوا ان يخرجوا من معسكرهم ليردوا هذا الكبش فمرت الفتاة تمشي على أربع ولم يمسها أحد بسوء حتى صعدت الربوة وأخذت منظارها ونظرت الى ناحية المعسكر ، فرأت أنها تطعت مسافة لابأس بها ورأت السيارة التى فيها الصبيان سائرة تقطع الارض وانوارها تسطع وقد قربت من مدخل مدينة حيفا ووصلت بسلام ، ولما رآى العرب انوار السيارة أطلقوا عليها النيران فلم يصيبوها أما صفورة فنزلت من الربوة مسرعة واختفت بين الاشجار ، ولكنها فجأة شعرت بألم فى رجلها فوضعت يدها على رجليا واذا بالدم يخرج وهى لا تدرى لماذا يخرج الدم ولم تدر أنها أصيبت برصاصة من رشاشات العدو واستمر الدم سائلا ، فعند ذاك قالت صفورة فى نفسها هذه نهاية الامل ، ورأت غمامة سوداء تمر آمام عينيها ثم آغمى عليها ولما استفاقت وجدت نفسها ضعيفة جدا لان خروج الدم الكثير من جسمها نهك قواها حتى لم تقدر على القيام وكانت جائعة لم تأكل شيئا منذ الصباح وشفتاها يابستان لانها لم تشرب ماءا فقالت

صفورة فى نفسها الآن لم يبق لى أمل فى الحياة وفى تلك اللحظة ذكرت صفورة كلما مر عليها فى حياتها من يوم مات والدها الى تلك اللحظة ، فعرفت ان حياتها كلها كانت مرة جدا وان الظلام فى حياتها كان أكثر من النور وان الحزن فى حياتها أكثر من الفرح فبكت صفورة ومع ذلك لم تدع صفورة لنفسها بل كان دعاؤها لقومها وللصبيان الذين سافروا فى السيارة لان الصبيان كانوا فى خطر فلعلهم خرجوا من الظلام الى النور ثم فتحت عينيها ونظرت الى السماء وقالت بصوت خافت يا رب احفظ بنى اسرائيل فى طريقهم فانهم طيبون وأعزاء وبينما هى كذلك اذا بنور عظيم مقبل عليها فمدت يدها بكل قوتها الى النور فوجدت فى يدها كعكة فلما وضعتها على فمها زال عنها كل ما كان عندها من الالم والحزن فلمعت عيناها وعاد لها أملها ولما علمت أن تلك الكعكة هدية كريمة قامت صفورة من مكانها وفى ظلمة الليل توجهت الى مساكن بنى اسرائيل تتحد معهم فى المعركة المقدسة ولما رآها أهل القرية فرحوا كثيرا وازداد فرحهم لما جاءت البشارة من حيفا وعلمت ان الصبيان وصلوا بسلام وكل الرفقاء نظروا الى صفورة العظيمة نظرة اجلال واعجاب فامتلات قلوبهم شعورا بالشكر لله تعالى ولما جاءتها احدى الصديقات بطعام قالت لها شكرا

يا ربقة لا حاجة لى بالطعام خذى هذا الطعام للمقاتلين ولا تهتمى بى أنا لأنى أكلت .

ولما فرغ المدير من حديثه وقعت ضجة فى الكتاب من شدة الغبطة والفرح وأخذت الدموع تنهمر من أعين كثير منهم من شدة تأثرهم بما سمعوا وشكروا المديـــر الذى يعرف كل شىء ولا سيما سر الكعكات الثلاث التى صنعتها أمنا سارة ، وكان لدانى مع ذلك أسئلة يريد أن يسألها ولكن المعلمة تهيأت للنشيد فرفعت صوتها بالنشيد وشاركها الصبيان كلهم .

« تنبيـــــه »

قال محمد تقى الدين مترجم هذه القصة من أصـــل عبرانى لا أرى بى حاجة الى زيادة شرح وبيان فـــان القصة واضحة فى مدلولها ولكنى أريد أن أخبر القـــراء الكرام بخبر يهمهم معرفته وهو ان كل صبى أو صبية من أبناء اليهود فى الولايات المتحدة له مدرستان عليــه ان يتعلم فيهما ، الاولى المدرسة العبرانية كل يوم يتوجه اليها لدراسة اللغة العبرانية والتوراة وتاريـــخ اليهــود وكتب العقائد والعبادات والثانية المدرسة العامة التـــى لابد لكل مستوطن فى الولايات المتحدة أن يتعلم فيهـــا لينال حقوقه المدنية كاملة وكل هؤلاء التلاميذ ينجحون فى المدرستين ، أما أبناء العرب والمسلمين فحالهم معروفـــة

فلا يهتم آباؤهم الا بتحصيل شهادات تضمن لهم المعيشة وكثير منهم وخصوصا الاغنياء يسامون أبناءهم وبناتهم الى مدارس دعاة النصرانية ويدفعون أجورا غالية زيادة على حرمان أبنائهم من التربية الصالحة التى تجعلهم أعضاء صالحين فى قومهم محافظين على دينهم وكرامتهم والله الموفق .

وصلى الله على خير خلقه وآله وصحبه ومن اقتدى به الى يوم الدين ؛

انتهت ترجمة هذه القصة مساء اليوم 26 من الشهر الخامس سنة 1393 من هجرة النبى الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيها عبرة لمن يعتبر وكان ذلك بالمدينة النبوية على من شرفها الله به أفضل الصلاة والسلام .

تنبيه :

لا أدرى هل ترجمت هذه القصة من الانجليزية أم من العبرانية أم منهما جميعا وفيها عبرة للعرب والمسلمين وحافز لهم لتعلم دين الاسلام وتعليمه للصغار والكبار اذا أرادوا أن يرجع لهم ما كان لآبائهم من العز والنصر .

« والله على كل شىء قدير »

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء